الفصل الثامن

الإسلام

لما كان كل شيء له أساس يقاس عليه مدى أهميته، كذلك المبادئ مهما كانت فقد وضعت على أسس بصرف النظر عن قيمة تلك الأسس سواء كانت ثابتة القواعد أو منهارة الأركان. وكان لواضعي المبادئ، والنظم، والقوانين أهداف بنيت على تلك الأسس، متخذين من الوسائل مطايا وإمكانيات لتوصيلهم إلى تلك الأهداف.

ولما كان خلق الإنسان على أساس: (وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ ومَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ)، كانت العقائد الإسلامية تقوم على أسس، وأركان، وقواعد بنيت كلها على أساس واحد هو التوحيد. وكانت الركائز الخمس هي منبع الخطوط العريضة التي بدأت بتعليم الناشئ دروسًا تتفق والفطرة التي فطر الله عليها ذلك الناشئ.

ومن هنا تكون بداية الإنطلاق في التبحر، وقد آثرت أن أبدأ الكتابة من حيث يبدأ ناشئ الفطرة، وذلك لن يتأتى إلا بشرح موجز للأركان، وذلك لكى يكون هذا الشرح فتحًا للطريق، وبداية للانطلاق، وتهيئة للمصير.

ولما كانت قواعد الإسلام الخمس في أدائها غاية، وفي تأديتها هدف لمن يؤديها؛ فالغاية منها الوصول إلى الله، والهدف منها أن يكون المؤدي عبدًا مطيعًا متعبدًا حائزًا لرضا ربه، فكان لابد من البدء في عقيدة الإسلام أن يبحث في الألوهية والربوبية، وهذا هو الهدف الأسمى.

الله:

لم يدع القرآن شائبة من ريب أو شك في مسألة الوحدانية الإلهية، فقد علم المسلمين التوحيد الخالص الذي قضى على تيارات التعدد والشرك، بل ذكر لله صفات دلت على قدرته ووحدانيته، وأنه ليس كمثله شيء في الأرض ولا في السماء، لم يكن الله والدًا لولد ولا مولودًا لوالد أو والدة.

(قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ ولَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ) سورة يونس آية ٦٨

(ومَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ ولَدًا إن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ إلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وعَدَّهُمْ عَدًا) سورة مريم آية ٩٣، ٩٤.

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ ولَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ) سورة الإخلاص.

واحد صمدي أزلي، رب العالمين، رب الناس، ملك الناس، إله الناس، رب الفلق، رب البيت، رب المغفرة، يدخل من كتبت لهم السعادة

في دين الله أفواجًا، وإذا ما دخلوا وتمسكوا وآمنوا بدين الله الحى القيوم سبحوا بحمد ربهم واستغفروه إنه كان توابًا، فأطعمهم من جوعٍ وآمنهم من خوف، وتولدت فيهم العقيدة الصحيحة، ورسخ عندهم الإيمان أن الله:

(يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ ومَا تُخْفِي الصُّدُورُ) سورة غافر آية ١٩.

(عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) سورة فاطر آية ٣٨.

(ومَا كُنَّا عَنِ الخَلْقِ غَافِلِينَ) سورة المؤمنون آية ١٧.

(وسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) سورة الأعراف آية ٨٩.

ومن صفاته:

(هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والْبَاطِنُ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) سورة الحديد آية ٣

(الحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ) سورة الفرقان آية ٥٨

(وهُوَ الَّذِي يُحْيِي ويُمِيتُ) سورة المؤمنون آية ٨٠

(كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلاَّ وجْهَهُ) سورة القصص آية ٨٨

(لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ) سورة سبأ آية ٣

(وهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) سورة يس آية ٧٩

(أَلا لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ) سورة الأعراف آية ٥٤

ومع اعتقاد المسلم في صفات الله عز وجل، فإنه لا يمكن أن يؤمن أبدًا، أو يتسرب إليه مجرد التفكير، أن تلك الصفات تعدد يشبه التعدد في الثالوث البرهمي، أو الثالوث البوذي، أو الثالوث الصيني، أو التاسوع المصري القديم، أو الثالوث المسيحي أو الثنائي الذي يقول: هناك إله للظلام أو إله للنور. أو كما يقول القائلون أن هناك إلهين أحدهما إله الخير والآخر رب الشر، إنما يؤمنون إيمانًا جازمًا أن تلك الصفات لرب واحد بعيد عن النقائص التي لا تجوز في خلق الإله.

والمسلمون جميعًا لا فرق بين طائفة وأخرى يؤمنون أن الصفات إن دلت إنما تدل على أنه القادر على كل شيء، الخبير العليم الرزاق ذو القوة المتين، المنفرد بالوحدانية الفعال لما يريد، الودود ذو العرش المجيد، الرحمن الرحيم الكامل المنزع، من قدرته الخلق، والحياة، والموت، والإرادة، والعطاء، والمنح، والمغفرة، والهداية، لا شريك له ولا مثيل.

وبتلك العقائد انتشل الإسلام البشرية من عناصر الشرك والجهالة، حيث ترك لمعتنقيه حرية العقيدة عن إيمان لا تشوبه شائبة، وأَفسح أمامهم المجال للتفكير والتأمل والتطلع، وبذلك تخلصت العقيدة من كل شائبة، فأصبحت صافية نقية كالمرآة.

وعلى أساس تلك العقيدة وهذا الاعتقاد، كانت أركان الإسلام الخمس هادفة إلى التوحيد، راسمة الخطوط العريضة التي تمكن المسلمين من

شق طريقهم في الحياة، جامعين بين أيديهم مطالب الدنيا والآخرة، وإليك الأركان الخمس في شرح موجز يدل على ما هدف إليه الإسلام مكنونًا في عقائده.

الشهادتان:

هما لب العقيدة ظاهرًا وباطنًا، جهرًا وسرًا، أولاً: هما شهادة أن لا إله إلا الله، شهادة بالوحدانية المطلقة بغير حدود، واعتراف من العبد أن لا إله إلا الله الملك القدوس المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحانه وتعالى عما يشركون، شهادة تخرج عن إيمان صادق يجزم جزمًا تامًا وحقيقيًا يقضي على عقابيل التعدد في كنه الإله حتى لا ينزلق العبد إلى التجسيم الذي طالما وقع فيه غيره قبل الإسلام، وبعد كل دعوة للتوحيد بسبب تغلب الكهنة والقادة على فطرة البشر.

وهذه الشهادة حوت بجانب ما حوته من توحيد الله اعترافًا بأنه لا عظمة لإنسان على أخيه الإنسان، ولا كبرياء لمخلوق على مخلوق، تطبيقًا لما رواه النبي عن ربه، حيث قال سبحانه في حديث قدسي: (العظمة ردائي والكبرياء إزاري، من نازعني فيهما قهرته ولا أبالي). ولا فضل لعبد على عبد، إنما الكل عباد لله أمام ربهم سواسية كأسنان المشط، وأن عظمة الإنسان تتجلى في عبادته الخالصة ومدى طاعته لربه، ولهؤلاء العظماء من بني الإنسان أمثال ذكرها الله في القرآن الكريم مانحًا إياهم صفات العظمة. فقد ورد في حقهم أنهم يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، ويتفكرون

في خلق السموات والأرض متجهين إلى الله مناجين صاحب العزة والجبروت: (سبحانك ما خلقت هذا باطلاً). أولئك أولوا الألباب الذين إذا مروا باللغو مروا كرامًا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا، يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا، آمنوا بربهم وتحروا في إيمانهم رشدًا، أولئك هم المؤمنون حقًا، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم.

أما الشهادة الثانية بأن محمدًا رسول الله، واعتراف منهم بمقدار النبي الذي بعثه الله للناس كافة فأخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، وهداهم إلى صراط العزيز الحميد الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما، فقد قاد عباد الأصنام، وتجار النساء، ووآد البنات، ومحترفي الحروب والمنازعات والسجد لللآت، والعزى، وهُبَل إلى مواطن العبادة الصحيحة؛ وبذلك أصبحوا داعين لربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، لا تعد أعينهم عن أمر الله يريدون زينة الحياة الدنيا، بعد أن كانت قلوبهم في غفلة، وكانوا تبعًا لهواهم فكان أمرهم فرطًا.

وهذه الشهادة وهذا الاعتراف لا ينسي المؤمنين بنبوة مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام، أن ذلك الرسول إن وجبت طاعته فلا تجب عبادته، وأن محمدًا بشر تجري عليه سنة الحياة والموت، كما تجري على أي إنسان. وأن خير ما يقال ويستدل به في هذا المقام قول أبي بكر الصديق، وهو أول من آمن بمحمد عليه الصلاة والسلام، فقد خاطب الناس وهم في هلعهم عند سماعهم خبر موت النبى صلاة الله وسلامه عليه: (أيها الناس من يعبد الله فالله حي لا يموت، ومن يعبد محمدًا فمحمد قد مات).

وكل شهادة المسلم لمحمد عليه الصلاة والسلام لا تتعدى أنه نبي ورسول، ولا تعدو أن يكون ذلك النبي مرسلاً من الله فبلغ الرسالة، ومؤتمنًا من ربه فأدى الأمانة، وترك المسلمين على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، وذلك بناء على وحي الله لنبيه. وقد ورد في القرآن قول الله آمرًا ذلك النبي:

(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ...) سورة الكهف آية ١٠١.

(فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ البَلاغُ) سورة الشورى آية ٤٩.

(قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ومَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ البَلاغُ المُبِينُ) سورة النور آية ٥٤.

(ومَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ) سورة ق آية ٤٥.

(لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ) سورة الغاشية. آية ٢٣.

(ومَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا ونَذِيرًا) سورة سبأ آية ٢٨.

(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) سورة الأعراف آية ١٥٨.

وليس معنى ما تقدم أن السملم يؤمن بنبوة مُحَّد وحده، إنما فرض على المسلم أن يؤمن بجميع الرسالات وجميع الأنبياء والرسل من يوم أن خلق الله آدم إلى يوم أن بعث الله محمدًا عليه الصلاة والسلام. ورسالة مُحَّد تختم الإيمان بجميع الرسالات التي سبقته، وأن دينه كان متممًا لتلك الرسالات.

(آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ والْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وقَالُوا سَمِعْنَا وأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وإِلَيْكَ المَصِيرُ) سورة البقرة آية ٢٨٥.

(قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ ومَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ومَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وإِسْمَاعِيلَ وإِسْحَاقَ ويَعْقُوبَ والأَسْبَاطِ ومَا أُوتِيَ مُوسَى وعِيسَى ومَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ونَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) سورة البقرة آية ١٣٦.

وخلاصة الشهادتين أن الإله منفرد بالوحدانية والصمدية والأزلية، فلا ثلاثي ولا ثنائي، بل لم يكن له كفوًا أحد، وأن محمدًا لم يكن إلهًا، أو ابنًا لله، أو أقنومًا من أقانيم ثلاثة أو تسعة، بل نبيًا ورسولاً إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله الواحد القهار، وأن رسالته متممة للرسالات السماوية (لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) سورة النساء آية ١٦٥.

إقام الصلاة:

إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا، يخلص العبد حيث وأينما أدركه وقت الصلاة، لا حاجة به إلى إمامة، أو كهانة، أو سلطة. وفي الصلاة صلة روحية بين العبد وربه، يقف بين يدي ربه مستفتحًا صلاته بتكبيرة الإحرام، اعترافًا منه بأن الله أكبر من كل شيء، رحمن رحيم، مالك يوم الدين، إياه وحده يعبد وبه يستعين على الشدائد، ويعوذ به من غضبه، ويطلب منه الهداية إلى الصراط السوي المستقيم، وأن ينأى به عن صراط الذين غضب عليهم فضلوا سواء السبيل، ثم يقرأ ما تيسر من القرآن متدبرًا المعاني، سابحًا بلبه مع ما حوت الآيات من أوامر ونواهي، ثم يفارق الدنيا إلى وقت ما، ويطير من الأرض فيحلق مع روحانية الرآن في جو ملكوتي، وتتطهر روحه مما ألم بها من مشاغل الدنيا ورجس الحياة.

وإذا ذهب إلى المسجد في صلاة الجماعة، فالإمامة للأصلح باختيار جماعة المأمومين للإمام، بحيث لا ترتفع درجة الإمام في الصلاة إلى درجة أعلى من درجة النبي الذي ورد في حقه: إن هو إلا بشير ونذير، وليس عليهم بمسيطر.

ولكن الطاعة للإمام واجبة، فالسجود حيث يسجد والركوع أنى ركع، والقيام إذا قام. وهذه الطاعة، وهذا النظام، وذلك التواضع الذي

يوجب على الأمير أن يصلي مأمومًا لمن هو دونه في المرتبة، لا يمنع من رد الإمام إذا حاد أو خرج عن المشروع الذي أمر الله به.

وإن الصلاة في الإسلام تتطلب من المسلم أن يتخلص من كل ما يتعلق بالحياة الدنيا وقت الصلاة، وأن يتجه إلى ربه بكليته في خشوع وخضوع الفقير المحتاج إلى الله الغنى الحميد. وفي هذا المقام ورد عن السلف أن النبى ﷺ رأى مسلمًا يحك بعض أعضائه فقال: والله لو خشع قلب هذا الرجل لخشعت أعضاؤه.

وبجانب هذه الرياضة الروحية فللصلاة فوائد تتجلى في الرياضة البدنية التي تعود على البدن بالصحة، والنشاط، والقوة إن أديت بركوع، وسجود، وقيام حسب أمرها. وعبادة الإسلام تجمع بين رياضة الروح ورياضة الجسد، والعقل السليم في الجسم السليم، فالإسلام عبادة وقيادة روحانية وعمل.

إيتاء الزكاة:

الزكاة في فرائض الإسلام، منبه للفرد بحصة الجماعة في ماله، والمذكر له بأن عليه واجبات تقابل حقوقه على تلك الجماعة، حتى يشعر أنه ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط، لأن من حق الجماعة على الفرد أن يعمل له ولغيره، وما الزكاة إلا تجربة واختبارًا له فيما تهواه نفسه من ماله ومتاعه.

وقد جعل الإسلام دفع الزكاة فريضة على الغني يدفعها من ماله عن رغبة للفقير والسائل الذي له حق معلوم في مال ذلك الغني، وأن هذا الحق المعلوم للسائل والمحروم لهو صدقة تطهر مال الغني وتزكيه، (كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة). وعلى قدر العطاء ومقدار ما شمل به هذا العطاء من راحة نفسية، وما انطوت عليه النية في توجيهه يضاعف الله لمن يشاء.

وبهذه الروح تسود المحبة بين المجتمع غنيه وفقيره، فلا ضريبة تؤخذ قسرًا من الغني، ولا حقدًا، ولا حسدًا من الفقير، إنما المؤمنون إخوة كلهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، مثلهم في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له جميع الأعضاء بالحمى والسهر. وبذلك يكون المجتمع الإسلامي مجتمعًا سعيدًا تلاشت منه كل أسباب الفقر والحاجة، مما يدفع عجلة الإنتاج إلى الأمام.

وقد جعل الإسلام الزكاة من أهم أركانه، وقرنها دائمًا بالإيمان بالله وبالصلاة؛ وذلك لأهميتها العظمى التي تتجلى في التوازن الاقتصادي، وتقليل الفروق بين الناس، وتقريب الطبقات. وقد بلغ من اهتمام الإسلام بأمرها حدًا بعيدًا يظهر واضحًا في قول أبي بكر الصديق عندما امتنع الناس عن دفعها بعد وفاة النبي ﷺ: (والله لو منعوني عقال بعير كانوا يعطونه رسول الله ﷺ لحاربتهم عليه حتى يؤدوه). وبهذه الروح كانت الزكاة عقيدة من عقائد الإسلام، وركنًا من أركانه الخمس.

صوم رمضان:

لم يقصد بالصوم في الإسلام الامتناع عن الطعام لمجرد الجوع والعطش، إنما كان للصيام أهداف سامية، وتلك الأهداف ذات شقين: أحدهما روحي وهذا له فائدتان؛ إحداهما تعود على الإنسان نفسه، والأخرى تعود على المجتمع. والشق الآخر دنيوي أخروي يعود على صحة الصائم بالقوة والنشاط.

فالفائدة الأولى من الشق الأول هي تنقية نفس الصائم من الشوائب التي شابتها، فبجانب حرمانه من ملذات الحياة التي تعوّد عليها ردحًا من النهار، تجمده طول يومه، يسبح ربه ويستغفره ممتنعًا عن بذئ العمل وفاحش القول، متخذًا مما روي في حق الصوم: أن كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فهو من الله درسًا يهديه إلى طريق ربه، ويجد في القصص القرآني خير معين على تربية نفسه تربية صحيحة على الصبر والاعتصام بأسوار العزيمة، والبعد عن اللغو: (إني نذرت للرحمن صومًا فلن أكلم اليوم إنسيًا). (قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزًا).

والفائدة الثانية تكون أثرًا من آثار الحرمان، فيذكر المحروم، وتأخذه الشفقة، ويعطيه مما أفاء الله عليه، وبذلك يكون الصيام وسيلة من وسائل الرحمة لهؤلاء الجياع والمحرومين؛ ولذا كان تتويج شهر رمضان بزكاة الفطر حكمة من الحكم التي أوحى بها الصيام، فقد أراد الله بها مشاركة الفقير للغني في عيده، وفرحته، وسروره.

أما الشق الثاني فمتفق تمامًا مع الطب الذي يأمر بعض من أتخمهم كثرة الطعام (بالرجيم): وهو الامتناع عن أنواع معينة من الطعام، وأحيانًا الامتناع عن الطعام كله مدة طويلة. وقد سبق الإسلام الطب في هذا المقام؛ وذلك أنه عندما أرسل المقوقس عظيم القبط طبيبًا ضمن هدايا أرسلها إلى الرسول ﷺ، فتقبلها جميعًا إلا الطبيب، فقد رده قائلاً صلوات الله عليه ما معناه: لا حاجة لنا به لأننا قوم لا نأكل إلا إذا جعنا وإذا أكلنا لا نشبع. إذن فالصيام صحة للبدن حيث تستريح المعدة راحة تامة مما أتخمت به من الطعام أحد عشر شهرًا؛ ولهذا قيل عن الصيام أنه تأديب بالجوع، وحرمان مشروع فيه لله خضوع وخشوع.

الحج:

شرع الحج في الإسلام على أسس سامية، ولأهداف عليا، فلو رجعنا إلى التاريخ القديم نجد أن الله أمر نبيه إبراهيم عليه السلام أن يبني البيت العتيق في المكان الذي أسكن فيه ذريته: (وإذْ جَعَلْنَا البَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وأَمْنًا واتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وعَهِدْنَا إلَى إبْرَاهِيمَ وإسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ والْعَاكِفِينَ والرُّكَّعِ السُّجُودِ) سورة البقرة آية ١٢٥.

وهذا الأمر كان بناءً على دعوة دعاها إبراهيم عليه السلام: (وإذْ قَالَ إبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ ومَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إلَى عَذَابِ النَّارِ وبِئْسَ المَصِيرُ وإذْ يَرْفَعُ إبْرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ وإسْمَاعِيلُ رَبَّنَا

تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ رَبَّنَا واجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ومِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ويُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ والْحِكْمَةَ ويُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) سورة البقرة الآيات ١٢٦، ١٢٩.

إذن فالحج صلة روحية بين شجرة الأنبياء، وجنة الرسالات، وهمزة الوصل بين ملة إبراهيم وملة مُحَمَّد كل منهما حنيفًا من المسلمين؛ فكان الحج تكريمًا من الله لإبراهيم الذي قال في حقه: (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا ولاَ نَصْرَانِيًّا ولَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ومَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) سورة آل عمران آية ٦٧. ولكي يبلغ التكريم مداه فقد استجاب الله دعاء إبراهيم (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) سورة إبراهيم آية ٣٧.

فشرع الحج وذلك وعد من الله الذي كفل أن يجعل أفئدة من الناس تهوى إلى مكان ذرية إبراهيم. حيث أمره (وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) سورة الحج آية ٢٧.

فالمسلمون يأتون من كل فج عميق يكونون مؤتمرًا إسلاميًا كبيرًا يتبادلون فيه الرأي، ويتذاكرون أحوالهم ويتابعون الخطط التي تعود على الأمة الإسلامية جمعاء باليمن والبركات، فتتمثل في الحج الإخوة الإنسانية على بعد الأديار، وتنائي الأقطار، واختلاف الشعوب والأجناس، فيلتقي

المسلمون في المكان التي صدرت منه الدعوة، فتزول الفوارق والأحقاد، ويحل محلها الحب والوئام. كأن يضحي بذاته في سبيل المجموع، لأنه جاء إلى المكان الذي ضحي فيه بدم البشر سواء كان على الصليب أو بالسكين، وخصوصًا من استسلم لأبيه طاعة لربه قائلاً: (افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) سورة الصافات آية ١٠٢.

وبهذا ولهذا كانت الأركان الخمس هي عقائد المسلمين التي بنيت على التوحيد الخالص مع الإخاء بين البشر والمساواة بين الخلق، ونظمت حياتهم في الدنيا والآخرة.

(وابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ ولا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ولا تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ) سورة القصص آية ٧٧.